مجلة أبعاد
مجلد 11، العدد 01 (خ)، 2024
ISSN 0030 – 2353 :
EISSN: 2602-697X

تجليات أزمات الإنسان المعاصر: رؤية إدغار موران

Manifestations of contemporary Human crises: Edgar Moran's vision

داود خليفة* DAOUD KHELIFA
فلسفة جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف– (الجزائر)
k.daoud@univ-chlef.dz

****

تاريخ الإرسال:2022/06/17	تاريخ القبول: 2024/03/17	تاريخ النشر: 2024/08/04

ملخص: في نظر إدغار موران أن الإنسان "حيوان أزمي" والعلاقة بين الإنسان والأزمة تلازمية، فهما "صديقان مترافقان" في مسار التاريخ وحركته، من هنا فإنه لا يخلو أي عصر من أزماته. غير أن ما يهمنا هي أزمة الإنسان المعاصر في القرن الواحد والعشرين، حضورها وتجلياتها، وموقفنا منها وكيفية التعامل معها. إن الأزمة الإنسانية المعاصرة متعددة الجوانب، تلامس علاقات الأفراد ببعضهم وبمجتمعاتهم، كما تتعدى إلى ما ينتجه الإنسان من معارف لفهم واقعه. لذا فإنه من الضروري تشخيص معالم هذه الأزمة من زاوية فلسفية، وذلك ما نسعى إلى تقديمه في هذه الدراسة، وحتى نحصر موضوع أخذنا رؤية إدغار موران كموضوع للدراسة.

الكلمات المفتاحية: أزمة؛ الحداثة؛ الفردانية؛ العلم؛ الاختزال.

Abstract: For Edgar Moran, man is a "crisis animal," the relationship between man and crisis is inherent. They are mutual friends in history's trajectory and movement, so no age is without its crises. However, what concerns us is the crisis of contemporary human beings in the twenty-first century, its presence and manifestations, our attitude towards it and how to deal with it.

The contemporary humanitarian crisis is multifaceted, touching on the relationships of individuals with one another and with their communities, and transcending the knowledge that man produces to understand his reality. It is therefore necessary to diagnose this crisis from a philosophical perspective, and that is what we are trying to present in this study, and to limit ourselves to the subject that we have taken the vision of Edgar Moran as the subject of the study.

Keywords: crisis; modernity; individualism; science; reduction.

* المؤلف المراسل: k.daoud@univ-chlef.dz

1. مقدمة:

لاشك أن أزمة الإنسان المعاصر في القرن الواحد والعشرين هي أزمة متعددة الأوجه تجلت في كل مظاهر الحياة الإنسانية الأخلاقية منها والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والبيئية، نستطيع أن نقول إنها أزمة وجودية مست كل الوجود الإنساني. وبالتالي فإن هذه الأزمة المتعددة الأوجه لا يمكن بأي حال من الأحوال الإمساك بها وتحليلها من كافة تجلياتها، لذلك حددنا بعض عناصرها. ولتضييق موضوع الدراسة أخذنا رؤية إدغار موران على سبيل الحصر، لأننا نعتقد أن هذا المفكر هو أكثر المفكرين حضورا – تأليفا وكتابة – منذ منتصف القرن الماضي، الذي اتسم تفكيره بالشمولي، عالج مختلف المشكلات الإنسانية في مجالات عدة، ومن بينها مشكلات الإنسان المعاصر وأزماته المختلفة، وانطلقنا من الإشكالية التالية: ماهي تجليات أزمات الإنسان المعاصر عند إدغار موران؟

إن الافتراض الذي انطلقنا منه هو أن التطور الذي عرفته المجتمعات على المستويات كثيرة: اجتماعيا واقتصاديا وتكنولوجيا، بقدر ما ساهم في الرقي وتحقيق رفاهية المجتمعات، بقدر ما ساهم في خلق أزمات على مستوى الأفراد والمجتمعات.

2. الأزمة من منظور إدغار موران:

في 1976 نشر موران مقالا بعنوان "من أجل علم للأزمات" وفي 2018 نشر كتابه "في مفهوم الأزمة"، ومن خلالهما أراد تفكيك مفهوم الأزمة فلسفيا، وقد أفضى به البحث والتنظير للأزمة إلى تحديد العلاقة بين الإنسان والأزمة، ويرى أنهما "صديقان مترافقان" في مسار التاريخ وحركته إلى درجة أنه يعرّف الإنسان بكونه "حيوان أزمي" انطلاقا من تناقضاته. ويحلل إدغار موران علاقة الإنسان بالأزمة كونها تمثل دافعية للتقدم الإنساني كما يمكنها أن تكون سببا لتقهقره وتراجعه، الأزمة تدفع بالإنسان إلى البحث عن حلول التي يمكن أن تكون بطرق علمية وعملية، كما يمكن أن تكون بطرق بدائية وأسطورية، يمكن للأزمة أن تؤدي إلى خلق إبداعات وابتكارات، وقد تؤدي أيضا إلى انتكاسات وانكسارات، الأزمة تثير الخيال الإبداعي وتثير المخاوف والتراجعات العقلية... من هنا فإن الأزمة هي التي تحدد الفاعلية الإنسانية بالسلب أو الايجاب.

ونشير من جهة أخرى إلى أن موران يعطي مفهوما جديدا للأزمة؛ فمهما كان نوع الأزمة: وبائية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية أو علمية فإنها تشترك في كونها "كلّ مركب" من

عناصر هي: الاضطراب، الفوضى واللايقين؛ فالاضطراب ينشأ من الاوضاع السيئة أيا كان مجالها، وتنشأ الفوضى من عدم الاستقرار وعدم التوقع لما سيحدث، فتزداد العشوائية واللانظام الذي ينتج عنهما عدم اليقين حول الوضع الذي سيكون عليه المستقبل، ومادامت الأزمة "مركب" أي تمتاز بخاصية "التعقيد" فإنه لا يصلح لأن يتعامل معها إلا "فكر مركب" يأخذ في الاعتبار عدم اليقين والاضطراب والفوضى.

ويرى إدغار موران أن أزمة الإنسان المعاصر متعدِّدة الأبعاد وتجلِّياتها مختلفة حضاريّة وثَّقافيَّة واقتصاديّة واجتماعيَّة. وهي كلها من مخرجات الحداثة الغربية، بنموذجها المعرفي: نموذج البساطة الَّذي يقوم على مبادئ، الفصل والتبسيط والاختزال.

3. مظاهر أزمات الإنسان المعاصر:

من بين الأزمات التي تعيشها الإنسانية المعاصرة، نذكر على سبيل المثال:

1.3. أزمة الفردانية والتعايش مع الآخر:

يعد مفهوم الفردانية من المفاهيم الأساسية والمركزية في الحضارة الغربية، ذلك لأن النزعة الفردانية كانت واحدة من أهم نتائج الحداثة الغربية. ويعد مفهوم الفردانية من المفاهيم الهلامية التي لا نكاد نجد لها تعريفا واحدا،

من حيث الاشتقاق اللغوي؛ "الفردانية" مفهوم أخذ صورته الاشتقاقية من المفهوم اللاتيني Individualisme، وهو مفهوم يقابل "الجمعنة" Sociabilité، أي بمعنى عام الفرد مقابل الجماعة. فيكون هنا مفهوم "الفردي" متعارض تماما مع مفهوم "الجمعي".

وجاء في المعجم الفلسفي لـ"جميل صليبا" الصفحة 141 تعريفا للفردانية بأنها «مذهب يرى أن الفرد أساس كل حقيقة وجودية، أو مذهب كل من يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفاعلية الفردية، أو مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه، فمعنى الفردية إذن مختلف باختلاف العلوم».

وبشكل عام، الفردانية هي الحالة التي يكون فيها الفرد كيانا مستقلا ومتفردا عن الجماعات التي ينتمي إليها، وقادرا على أتخاذ قراراته استنادا إلى إمكاناته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة الآخرين الذين يتنمى إليهم الفرد (وطفة، ع، أ، 2005، 131).

من هنا يختلف مفهوم الفردانية عن مفهوم الذاتية (وطفة، ع، أ، 2005، 132 - 133)؛ فالفردية تعني أن يأخذ الإنسان موقفا معينا من قضية ما أو مجموعة من القضايا وأن يكون الفرد واعيا بالضرورة بأبعاد موقفه، أما الذاتية فهي شعور الفرد بأنه محور الوجود

أو مركز الكون في مسار حياته.

والحقيقة أن الحداثة سعت إلى تحقيق السعادة الفردية من خلال التأكيد على الحقوق والحريات الفردية في كافة المجالات، وقد وجد هذا المسعى مكانته في الليبيرالية الحديثة، إذ أكدت الليبيرالية على الحرية الشخصية وعلى احترام خصوصيات الفرد وحقوقه، وبالتالي كل من يدافع عن الحرية ينبق عن هذا المذهب الفردي؛ الذي يدافع عن كرامة الإنسان من أي قهر سياسي أو اجتماعي (الكحلاني، ح، 2004، 24).

عمّقت الفردانيّات العزلة والانغلاق والأنانية المفرطة واللامبالاة وغيرها، فانعدم الاتصال والتواصل بين الناس؛ فلم يعد مثلا الجيران يعرفون بعضهم البعض، وأشخاص يموتون في منازلهم ولا أحد يسمع بهم، وكذلك تراجعت القيم الدينية والاجتماعية وتراجعت معها صور الأخوة والمحبة والتضامن والتعايش ومسؤولية الفرد اتجاه الآخرين، فكانت النتيجة فراغ روحي وجفاف أخلاقي.

يذهب إدغار موران إلى أن الفردانية بكل ما خلّفته من آثار سلبية على العلاقات الاجتماعية تشكل بؤس الحداثة، قادت المجتمعات البشرية إلى هاوية حضارية وانحطاط في المستوى الوجودي الإنساني.

وتنشأ هذه الفردية – في نظر إدغار موران - من خلال التمركز حول الذات (l'égocentrisme) والتمركز حول العرق (l'ethnocentrisme)، والقاسم بينهما «يكمن في كونها تموقع ذاتها في مركز العالم وتعتبر كل ما هو غريب أو بعيد هو شيء ثانوي لا معنى له أو شيء معادٍ لها» (موران، إ، 2002، 90).

يدعونا إدغار موران إلى تفعيل آليات العيش المشترك؛ حيث يفترض على الأنا تجاوز الفردانية والانفتاح على مختلف مكونات الهوية، فيصبح من الضروري التعايش مع الآخر الذي نشترك معه في الانتماء لنفس الطبيعة البيولوجية ولنفس الثقافة الاجتماعية ولنفس الهوية الانسانية المشتركة.

إن الإنسانية تشترك في الأصل الموحد الذي يجسده الموروث الطبيعي، فمهما كان هناك اختلاف ظاهري بين الأفراد في اللغة والثقافة والعادات وغيرها، إلا أن هناك وحدة في الطبيعة التي تحقق المشترك الإنساني. إن الثقافة كمنتج روحي بشري هي أصلا متولدة عن الطبيعة، ولا يمكن أن يتقدم الفكر الإنساني لولا الثقافة، أي لولا اللغة والمهارات والمعارف المتراكمة في المجتمع، فالإنسان صانع الثقافة وهو في الآن ذاته من نتاجها. وهذا

يعني أن البشر يشتركون فيما هو طبيعي وحتى فيما هو ثقافي وإن اختلفت الثقافات عن بعضها.

هذا الانتماء لنفس الطبيعة على اختلاف الأفراد هو الذي يحقق الهويّة الإنسيّة. حيث يتولد الشُّعور المسؤول لدى الإنسان – بحكم هذا الانتماء المشترك - وبأنّه يرتبط مع أخيه الإنسان في وحدة، من شأنها الحد من أي تناقض أو صراع هوياتي، فتتأسس علاقات تواصلية من دون استعلاء القيمة الذاتيّة للفرد، ولكن بإعلاء الشأن الإنساني.

من هنا ينادي إدغار موران بإتيقا جديدة تقوم على علاقة الانفتاح بين الأنا والآخر والقبول به، أي علاقة حوارية منفتحة مبنية على الفهم والتسامح، وتراعي التركيب والتعقيد ومختلف الأبعاد المكونة للإنسان (داود، خ، 2018).

تسمح هذه الإتيقا بتجاوز الرؤية التبسيطية الاختزالية التي تحصر حقيقة الإنسان في "الأنا" مستقلا عن "الآخر"، أي اعتبار أن حقيقة الإنسان تتأسس على الشرط الانطولوجي المتمثل في وجود الأنا، وهي الرؤية التي تأسست مع ديكارت الذي يؤكد على خاصية التفكير كشرط لتحقق الوجود الإنساني باستقلال تام عن الغير(داود، خ، 2018).

إن الهوية الفردية هوية كوكبية؛ تتمثل في الانتماء الإنساني، وتتقاسمها البشرية جمعيا على اختلافها وتنوعها. وانطلاقا من هويتنا الكوكبية يتعين علينا أن نتعلم كيف نعيش فوق هذا الكوكب، وكيف نتقاسم الأشياء بيننا، وكيف نتوحد فيما بيننا، وكيف نتواصل.. إننا نتعلم ذلك من خلال ثقافتنا الخاصة، ولكن ينبغي أن نتعلم ذلك من حلال انتماءنا لكوكب الارض، من هنا لا يتعين علينا أن ننتمي فقط لثقافة ما، بل وعلينا فوق ذلك أن نشعر بوجودنا ككائنات أرضية (Morin, E, 1999, 41).

انطلاقا من ذلك يستوجب الأمر أن نعمل على تحقيق الوحدة والتجانس والتنوع بدلا من النزوع نحو الانغلاق، إن التجانس هو نتاج الترابط والوحدة داخل السيرورة الكوكبية ومنتجا لهما في الآن نفسه، من حيث هو يضفي بُعدا مركبا على الهوية الفردية (الثقافية والإثنية) (موران، إ، 2002، 71).

2.3. أزمة الفهم والتواصل:

في نظر إدغار موران أنه من خلال الهوية الكوكبية يتحقق الشرط الانساني، وفق تفكير متعدد التمركزات منفتح ويتغذى من مختلف ثقافات العالم، الأمر الذي يستوجب نوعا من التفاهم الذي تنوط به التربية كأحد مهامها الأساسية. إلا أن الفهم أصبح من المشكلات

الأساسية في العلاقات الإنسانية، الأمر الذي يستدعي أن يكون الفهم أحد أهم غايات التربية، ولكن ينبغي أن نعلم أن «هناك فرق بين أن نربي من أجل تحصيل الفهم في مادة تعليمية كالرياضيات، وبين أن نربي من أجل الفهم الإنساني، الذي هو الرسالة المحضة للتربية المستقبلية، والذي هو الشرط لتحقيق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية» (Morin, E, 1999, 51).

ولاشك أن الفهم الإنساني يحيلنا على معرفة الذات للذات، حيث لا ندرك الغير موضوعيا فقط بل إننا ندركه كذات أخرى نتطابق معها أو نجعلها متطابقة معنا، إنه أنا آخر وقد أصبح غيرا ذو أنا مستقلة (موران، إ، 2002، 88)، يؤدي الأمر في النهاية إلى أن الفهم هو محاولة معرفة الغير والسعي نحو التطابق معه والقيام بإسقاطات عليه. وهو بهذا المعنى مسألة بين ذاتية، تقتضي الانفتاح والتعاطف (موران، إ، 2002، 88). في هذا الإطار ينبغي أن ندرك أن للفهم بُعد فردي والمتمثل في تلك العلاقة بين المقربين كأشخاص منتمين لثقافة واحدة، إن العلاقات بين المقربين أصبحت مهددة أكثر من غيرها باللاتفاهم، إذ كلما كان هناك تقارب كلما زادت مساحة اللاتفاهم، فالتقارب يغذي سوء الفهم والعدوانية والغيرة. وبُعد كوكبي يتمثل في التفاهم بين المتباعدين، أي التقارب بين الشعوب المنتمين لثقافات مختلفة (Morin, E, 1999, 51). وفي نظر إدغار موران أن التواصل لا يؤدي بالضرورة إلى الفهم، لكنه الشرط الضروري الأول لتحقيق الفهم، وبالتالي فنحن في أشد الحاجة إلى تحقيق التقارب بين الناس، وفي حاجة أكثر إلى أخلاق للفهم باعتبارها فنا للعيش.

ولا شك أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر كوكبي بامتياز، من هنا ينبغي أن نربط بين أخلاق الفهم والعصر الكوكبي، الأمر الذي يستدعي بالضرورة الدعوة إلى عالمية الفهم. من هنا يرى موران أن على الثقافات المختلفة أن تتعلم من بعضها، وعلى الثقافة الغربية التي فرضت نفسها كثقافة مُعَلّمَة أن تصبح ثقافة مُتَعَلَّمَة أيضا (موران، إ، 2002، 97). ويفترض كل تواصل بين الثقافات وبين المجتمعات نوعا من التفاهم، الذي تحققه الديمقراطية، حيث إن عولمة للفهم يفترض بدوره مجتمعات ديمقراطية متفتحة، من حيث إن الديمقراطية تمثل السبيل الأوحد نحو الفهم المتبادل بين الثقافات والشعوب والأمم، من حيث هي تغذي تعددية الأفكار وضمان حقوق الأقليات

لا يتحقق التقارب بين الناس إلا بالتواصل، ومما لاشك فيه أن التكنولوجيات الحديثة

(هاتف، انترنت...) ساهمت وبشكل فعّال في تحقيق التقارب والتواصل بين الناس، ورغم ذلك فإن اللاتفاهم هو العملة السائدة بينهم، إذ لا يمكن رقمنة الفهم (Numérisation de la compréhension). لقد حدث تفكك كبير وشرخ عظيم في العلاقات الإنسانية، لذلك يتعين علينا أن نعوض التفكك الحاصل بتثبيت الترابط والدعوة إلى العيش المشترك مع بعضنا البعض، وأيضا نعمل على أخلقة التواصل الإنساني من خلال إرساء علاقة احترام متبادلة بين الأنا والآخر من حيث هما مختلفان ومتطابقان في نفس الآن.

3.3. أزمة اللاتسامح:

يرى إدغار موران أن التربية على الفهم هي تربية على التسامح، وعلى أن الحقيقة دائما نسبية، وبالتالي فهم الأخر حتى وإن كان الأخر غير قادر على فهمنا وأن نعرف لماذا هو غير قادر على فهمنا، وبالتالي فأخلاق الفهم تتطلب منا فهم عدم الفهم. إن الفهم هو وسيلة وغاية التواصل الإنساني، فلا تقدم في مجال العلاقات بين الإفراد والأمم والثقافات بدون فهم متبادل (موران، إ، 2002، 93). إن العلاقات بين البشر لن تحقق أي تقدما، مادامت قدرتنا على الفهم لا تتطور.

من هنا، يربط إدغار موران بين الفهم والتسامح باعتباره قيمة أخلاقية، ويمكن أن نفهم هذا من خلال تحليل المستويات الأربعة للتسامح عند موران: المستوى الأول هو احترام حق الغير في التعبير والكلام، وأساسه فهم تعبير الغير وكلامه ليس انطلاقا من تصوراتنا نحن ولكن حسب مقصد المتكلم. والمستوى الثاني من التسامح هو الذي تقوم عليه الديمقراطية التي تقتضي وجود أراء مختلفة ومتناقضة، حيث ينبغي احترام أراء الغير مهما كانت مناقضة لآرائنا. والثالث يتأسس على الفكرة القائلة أن نقيض الحقيقة ليس خطأً وإنما هو حقيقة أخرى وبالتالي فإن «نقيض فكرة ما عميقة هو فكرة أخرى عميقة، وبصيغة أخرى الاعتراف بثمه حقيقة في الفكرة المناقضة لفكرتنا، وهذه هي الحقيقة التي يتعين علينا احترامها» (موران، إ، 2002، 93). أما المستوى الرابع للتسامح فيقوم على الوعي بالخضوع للأساطير والإيديولوجيات وللأفكار وللآلهة، والوعي بالانحرافات التي تحملنا إلى مدى بعيد عما كنا نود بلوغه، وعليه فالتسامح يتعلق بالأفكار وليس بالشتائم والاعتداءات والإجرام (موران، إ، 2002، 95). يؤدي الأمر في نهاية المطاف إلى أنّ الفهم يتطلّب التسامح والمشاركة الوجدانيّة ومدّ جسور التواصل الإنساني مع الآخر، ويتطلّب إلى جانب ذلك مراعاة خصوصيّة الناس وفرادة الحضارات واختلاف السياقات الفكريّة

والاجتماعيّة والنفسيّة للمجتمعات، ويتطلّب أيضاً الابتعاد قدر الإمكان عن الإقصاء والأحكام الجاهزة المتسرعة والقبليّة (زتيلي، خ، 2019).

4.3. أزمة الوباء (فيروس كورونا):

نمر حاليا بجائحة لم يعرف لها العالم مثيلا في تاريخه، أي جائحة فيروس كورونا، هذه الجائحة لم تثنِ إدغار موران من التفكير والكتابة، فخرج علينا بمؤلف بعنوان: "لنُغير السبيل: دروس فيروس كورونا"، قدم فيه خمسة عشر درسا ليثبت مرة أخرى حضوره وأنه ليس بعيدا عن مشاكل العصر وقضايا المجتمع. وهذا الكتاب استشرافي بامتياز ينادي فيه بطريق جديد للإنسانية بمعزل عن الليبيرالية الجديدة المتوحشة ويكون حماية من الانعكاسات السلبية للعولمة، وبالتالي حاول في هذا الكتاب إيقاظ الوعي الإنساني بالمخاطر التي تحدق بالإنسانية، والوعي أيضا بوحدة المصير. وإذا لم نغير السبيل في التفكير والسلوك والتعامل مع الآخر فإننا سنشهد كوارث أشدا فتكا. لقد تراجعت التكنولوجيا أمام فيروس كورونا وعجز الطب عن ايجاد علاج فعال للفيروس ولم يستطع أن يوقف خطورته، والنتيجة كانت وفاة الملايين من البشر وعاش الكثير في جحيم الخوف والحجر المنزلي والإغلاق الاقتصادي. لابد أن تكون رؤيتنا للمستقبل انطلاقا من التعليم والصحة من أجل إنسانية أكثر تقدما وأقل خرابا، بالعودة إلى الأصول الطبيعية في الحياة والمعيش والغذاء وعقد صداقة حميمية مع البيئة.

لقد بيّن فيروس كورونا أن الوجود الإنساني يتميز بالتعقيد فقد كنا نعتقد أن العلم والحداثة كفيلان بإخراج الإنسان من بربريته القديمة، غير أنهما أوصلانا إلى بربرية جديدة. وبالتالي ففيروس كورنا إنما هو تعبير عن أزمة العقل الغربي الذي عولم كل شيء (Morin, Abouessalam, 2020, 15).

لقد مسّ فيروس كورونا الجانب الذاتي للأفراد؛ حيث فرض نمط حياة لم يسبق لها نظير في ظل الإغلاق والحجر المنزلي، فخلق نوعا من التذمر، وولد شعورا بالضيق في حياتهم. صحيح أن كوفيد19 لم يقيد الناس بالحبال ولكن بانتشاره الواسع وإزهاقه للأرواح في ظل الإجراءات الصحية المطبقة فرض على الجميع ملازمة بيوتهم، فتحول إلى فيروس مستبد يتحكم في سلوك الناس ورغباتهم وأفكارهم، مضيفا عليهم أعباء نفسية ومرضية جديدة.

5.3. أزمة الفكر الاختزالي:

تمثلت معالم هذه الأزمة في الفصل بين المعارف وتجزئتها إلى تخصصات ضيقة،

والتخصص الذي يعنيه إدغار موران هو ذلك التخصص المنغلق على نفسه، غير مندمج في اطار تصور كلي للموضوع أو داخل إشكالية عامة.

وعمل مبدأ الفصل على حجب الوقائع الشمولية والمركبة؛ فعلى المستوى الإنساني مثلا يعمل هذا المبدأ على فصل الإنسان وتجزئة أبعاده بين مختلف ميادين المعرفة المتخصصة، فيتناول تخصص البيولوجيا البعد الحيوي بما في ذلك الدماغ، وتجزئة الأبعاد النفسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية بعضها عن بعض داخل حقول العلوم الإنسانية، وقد أغلقت الفلسفة داخل نفسها مع أنها تفكير تأملي إنساني شمولي (Morin, E, 1991, 18).

إن العلوم الكلاسيكية التي تستند على الدراسات المتخصصة قد ساهمت في تجزئة جوانب الإنسان الثقافية والبيولوجية وحتى الحيوانية، ويضرب إدغار موران مثالا عن ذلك الدماغ والذهن، فالأول موضوعا لعلم البيولوجيا والثاني يتم تناوله من خلال علم النفس، وكون الدماغ والذهن لا يقبلان الفصل بينهما، فإن للإنسان إذن جانبه البيولوجي والنفسي، ومن الضروري الأخذ بالهوية المزدوجة في الاعتبار. ويدرس الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ جانبَنا الثقافي، وهي فروع معرفية ينبغي الربط بينها. أما الفنون والأدب، فإنهما يسمحان بالاقتراب من ذاتية الكائن وحياته اليومية وآلامه؛ وذلك مالا تظهره العلوم (داود، خ، 2021، 11).

إن وضع الحواجز بين التخصصات العلمية أحدث تفككا كبيرا على أصعدة عدة: ففرّقت الفيزياء بين المعلومة والحوسبة والذكاء الاصطناعي. وفرّقت البيولوجيا بين الجهاز العصبي والدماغ وتطوره. أما علوم الإنسان فقد فصلت وفرّقت بين الألسنية وعلم النفس المعرفي والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والتاريخ، وفرّق كل من العلم والفلسفة بين المنطق والابستيمولوجيا... وفي الوقت الذي كان ينبغي على هذه التخصصات أن تتواصل فيما بينها، فإننا نراها على العكس من ذلك تماما تتباعد وتتنابذ (موران، إ، 2012، 24).

والنتيجة أن الانفصال بين العلم والفلسفة – على سبيل المثال – قد أدى في نظر إدغار موران إلى جعل تصوراتنا حول العقل والدماغ محكومة إما بالتفكك أو الاختزال (اختزال العقل على أنه الدماغ)، حيث إن التفكك الذي ساد الثقافة الغربية منذ القرن السابع عشر قد وضع العقل في مملكة العلم وأخضعه بصورة صارمة للقوانين الآلية والحتمية

للمادة، في حين أن العقل يعيش في اللامادية والإبداع والحرية في مملكة الفلسفة والإنسانيات. والحقيقة أن كلا المفهومين مهيمنا ومُختزلاً: اختزال كل ما هو روحاني إلى المادة، أو اختزال كل ما هو مادي واعتباره منتَجا للعقل (Morin, E, 1986, 70 - 71). وبالتالي، فإن تقسيم المعرفة وتفتيتها أدى إلى انفصال رهيب بين العلوم الطبيعية وبين ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والعلوم من وجهة نظرها تستثني الروح والثقافة من مباحثها مع أنهما هما اللذان ينتجان هذه العلوم نفسها.

ويرى إدغار موران، أنه لا ينبغي ترك المعرفة تتفتت بين المفاهيم الاختزالية التي يعززها كل اختصاص، حيث أضحت المعرفة منتوجا اجتماعيا عند عالم الاجتماع، أو منتوجا نفسيا عند عالم النفس، أو منتوجا دماغيا عند عالم الأعصاب (موران، إ، 2012، 37).

ويصل إدغار موران إلى أن التخصصات المعرفية الضيقة ليست إلا فصل الموضوع عن سياقه وشموليته، وفصل علاقاته وتفاعلاته مع محيطه داخل بناء معرفي مجرد يتعلق أساسا بمبحث مجزأ، يحطم بشكل اعتباطي نسقية علاقة الجزء مع الكل، ينتهي في نهاية المطاف إلى تجريدات رياضية صورية تفصل الظواهر عن ما هو محسوس (Morin, E, 1991, 19). وعليه فان الرؤية القائمة على هذا مبدأ رؤية عمياء تشتتُ المركب إلى أجزاء مفصولة عن بعضها البعض، فتضفي الوَحَدة على ما هو متعدد في أبعاده.

يشير إدغار موران إلى أن هناك حالة مرضية تمر بها المعرفة الإنسانية، تسمى بـ"باطولوجيا المعرفة" (La pathologie du savoir) وتتجسد هذه الحالة في «التبسيط الكبير الذي يحجب الأبصار عن رؤية تعقيد الواقع» (Morin, E, 2005, 23)، وهذه الحالة المرضية للمعرفة الإنسانية يسميها إدغار موران بـ"الذكاء الأعمى" (l'intelligence aveugle)، الذي من شأنه أن «يفصل المجموع عن السياقات التي يندرج تحتها، فأصبح بذلك عاجزا عن تصور المجموع لأنه تجزيئي تبسيطي، ومن ثمّ فهو غير قادر على إدراك الحقيقة التي يتواصل فيها الكل عبر صيرورة معقدة ومتشابكة» (الخويلدي، ز، 2013، 1408).

إن العقل الأعمى – في نظر إدغار موران - يحطم المجموع والكل ويفصل كل موضوعاتهما عن بيئتهما، والعقل الأعمى لا يمكنه تمثل كل التمفصلات بين الملاحِظ والشيء الملاحَظ. ومن شأن العقل الأعمى أن يغشي الأبصار عن رؤية التعقيد، والفكر المركب وحده من يسمح بتحديث وتمدين معارفنا (Morin, E, 1991, 19).

لقد قدّر للفكر العلمي في العصر الكلاسيكي أن يخضع للتبسيط والاختزال والفصل

والتجريد، تلك الخصائص التي يجمعها إدغار موران فيما يسمى بـ"منظومة التبسيط أو الاختزال" (Système de simplification / Réductionnisme)، التي حكمت الغرب وخطاباته، وبحكمها هذا قد شكلت اللاوعي الغربي في مساره الفكري. الأمر الذي جعله يوجّه سهام نقده لهذه الابستيمولوجيا الاختزالية، إذ أن «الصيغ المبسطة للمعرفة تشوه الوقائع أكثر مما تعبر عليها، ومن ثمّ فهي تنتج العمى أكثر من مساهمتها في التوضيح» (Morin, E, 1991, 10).

إن النموذج المعرفي القائم على التبسيط والاختزال لا يسمح، بحسب موران دائما، بالانفتاح على الأبعاد المركبة للواقع، فالمعارف الكلاسيكية غير كافية لاستنادها - من وحي ديكارتي - على منطق تبسيطي (Morin, le Moigne, 1999, 53)، وبذلك يكشف هذا الأنموذج المعرفي عن حدوده وغير ملائمته لطبيعة المعرفة المعاصرة.

لقد كشفت تطورات المعرفة العلمية المعاصرة أن الواقع أشد تعقيدا مما نتصور، ومن ثمّ فإن الاختزال القائم على الفصل والتجزئة والصورنة من شأنه أن يفرغ الواقع من التنوع المتعدد لأشكاله الذي يكشف عن طابعه المركب، وهذا الطابع المركب للواقع غير قابل إطلاقا للتبسيط والاختزال.

وفي رأي إدغار موران، أن نجاح الذي عرفه العلم بدءاً من غاليلو وصولا إلى نيوتن يكمن في تجزئة النظم المعقدة إلى مكوناتها البسيطة لفهم كيف تتفاعل هذه المكونات بعضها مع بعض، حيث كان يتم تجزئة سلوك النظم إلى مكوناتها، والذي يسمح بمعرفة هذه النظم من خلال تحليل خصائص الأجزاء الأولية، فلقد كان «العلماء لما يواجهون نوعا من التعقيد فإنهم وبشكل غريزي ينظرون إلى المكونات البسيطة للنظام وكيف تتفاعل هذه المكونات مع بعضها البعض، ثم ينتقلون للكشف عن القانون أو القوانين التي تحكم تفاعل هذه التفاعلات وسلوكها، بعد ذلك يحاولون الكشف عما إذا كانت هناك نظم أخرى تتبع نفس القوانين، وهكذا» (De Langavant, 2001, 3).

وهنا يكمن التناقض في نظر إدغار موران، ففي الوقت الذي شهدت فيه المعرفة خلال القرن العشرين تطورا خلاّقا في جميع ميادينها في إطار التخصصات وبفضلها، فإنه في مقابل ذلك كان هذا التطور على حساب المعرفة نفسها؛ لأنه أدى إلى تراجع كبير وخطير على مستوى المعرفة؛ لأن التخصص يلغي السياق ولا يهتم بالشموليات والمُركبات. وهو ما أبرز عقبات كثيرة أعاقت ممارسة المعرفة المناسبة (Morin, E, 1999, 18). وهذه هي

تراجيديا والتناقض اللذين تعيشهما المعرفة؛ حيث إن تقدمها هو سبب تراجعها، وهو في نفس الوقت التحدي الذي تواجهه المعرفة، وهو تحدي الربط لا الفصل، التجميع لا التفريق، التعقيد لا التبسيط...

4. النتائج ومناقشتها:

من خلال استعراض أهم الأزمات الإنسانية المعاصرة من وجهة نظر إدغار موران، رصدنا بعض النتائج نعرضها كما يلي:

- طغيان النزعة الفردية على حساب النزعة الاجتماعية، أحدث شرخا في العلاقات الإنسانية داخل المجتمعات، حيث إن العزلة والانغلاق والأنانية المفرطة واللامبالاة.، أدت إلى انعدم الاتصال والتواصل والتضامن بين الناس.

- ضرورة تحقيق التقارب بين الناس، وتفعيل التواصل الإنساني وأخلقته، من شأن كل ذلك أن يحقق التفاهم بينهم الترابط والعيش المشترك مع بعضنا البعض.

- على التربية أن تعمل على غرس مبادئ التسامح والتشارك العاطفي والوجداني، بمراعاة التفرّد والتعدد على المستوى الفردي، ومراعاة الاختلافات الفكرية والثقافية للمجتمعات.

- إن اختزال والتبسيط والتخصص المنغلق الذي عرفته المعرفة الإنسانية قد شوّهها كثيرا، حيث لا تندمج المعارف في اطار تصور كلي للموضوع، وهذه حالة مرضية للمعرفية الإنسانية، والتي لا يمكن الخروج منها إلا من خلال فكر مركب يراعي الشموليات والسياقات وتعددية الأبعاد.

5. الخاتمة:

نستطيع القول في الأخير أن إدغار موران حاول الإمساك بمختلف الأزمات التي يعيشها الإنسان المعاصر، وهي أزمات كانت من مخرجات الحداثة الغربية، محاولا علاج هذه الأزمات في ظل الفكر المركب، داعيا إلى تجاوز الفردانيات المنغلقة وضرورة إقامة حوارية بين الأنا والآخر في ظل الاحترام المتبادل والتعايش السليم، وإلى إقامة تواصل بنّاء يحقق الفهم بين الأفراد ونشر ثقافة التسامح، وكذا اصلاح الفكر الذي يقتضي إصلاح المعرفة التي هيمنت عليها النماذج الاختزالية.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية:

1. الخويلدي، زهير. (2013). تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن كتاب: الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي، من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، ج2، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، ط1، الرباط، المغرب: دار الأمان.
2. الكحلاني، حسن. (2004). الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
3. خليفة، داود. (2018). أخلاقيات التواصل عند إدغار موران، تم الاسترجاع من الرابط: http://couua.com/.../%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82%D9%8A...
4. خليفة، داود. (2021). إدغار موران - أزمة المعرفة والحلول، مجلة أبعاد، المجلد8، العدد1، مخبر الابعاد القيمية، جامعة وهران2، الجزائر، 09 – 20.
5. زتيلي، خديجة. (2019). إدغار موران وتعليم فنّ الحياة في الزمن الراهن، مجلة هوامش ثقافات معاصرة، تم الاسترجاع من الرابط: https://couua.com/2019/04/16/%D8%A5%D8%AF%D8%BA%D8%
6. صليبا، جميل. (1994). المعجم الفلسفي: الجزء الثاني، بيروت، لبنان: الشركة العالمية للكتاب.
7. موران، إدغار. (2002). تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق – منير الحجوجي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
8. موران، إدغار. (2012). المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ط1، تر: جمال شحيد، بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية.
9. وطفة. علي أسعد. (2005). الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية: المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية، مجلة تعريب، العدد28، دمشق، سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 129 - 153.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

.1 De Langavant, Ghislane Cleret. (2001). bioéthique: méthode et complexité, Québec, Canada Presses de l'universitaire de Québec.

.2Morin, Edgar & le Moigne, Jeans Louis. (1999). l'intelligence de la complexité, , Paris, éditions l'Harmattan (édition numérique).

.3 Morin, Edgar & Sabah, Abouessalam (2020. Changeons de voie: Les leçons du coronavirus, Paris, Denoël.

.4 Morin, Edgar. (1986). La méthode: La Connaissance de la Paris, éditions du Seuil.

.5 Morin, Edgar. (1991). La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, Paris, éditions du Seuil.

.6 Morin, Edgar. (1999). Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation, du futur, Paris UNESCO.

.7 Morin, Edgar. (2005). Introduction à la pensée complexe, Paris, éditions du Seuil.